دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

في اللاهوت

ألقاب المسيح

- ٧ -

الفدية والكفّارة

(تم ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية)

الأب متى المسكين

دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

في اللاهوت
ألقاب المسيح

– ٧ –

الفدية والكفّارة

الأب متى المسكين

الفديــة والكفّارة

◆❖◆❖◆

يُقـال في اللاهــوت بحسـب جـذوره في العهـد القديـم أن المسـيح هو الفدية التي قدمهـا أبـوه الكلـي المجـد والكرامـة، ولكـن لا يُقـال إنـه الفادي، فـالآب افتدانـا بابنـه. فـالآب هـو الفـادي والابـن هـو الفديـة، لذلـك لم يـأتِ لقـب الفـادي بالنسبة للمسيح في جميع أسـفار العهـد الجديـد، وذلـك عـن وعـي لاهوتـي دقيـق وملفـت للنظـر. لأن الآب هـو صـاحب المشـورة الأزليـة والتدبير في تقديـم ابنـه فديـة: «عـالمين أنكـم افتُديتـم لا بأشـياء تفنى بفضـة أو ذهـب مـن سـيرتكم الباطلـة التي تقلدتموها من الآباء، بـل بـدم كريـم كمـا مـن حمـل بـلا عيـب ولا دنس دم المسيح، معروفـاً سـابقاً قبـل تأسيس العـالم، ولكـن قـد أُظهِـر في الأزمنـة الأخـيرة مـن أجلكـم.» (١بـط ١:١٨-٢٠)

فالمشـورة الأبويـة تمـت في الأزل، وتم بحسـب فكـر الآب اختيارنـا في المسـيح منـذ الأزل أيضـاً: «كمـا اختارنـا فيـه قبـل تأسـيس العـالم لنكـون قديسـين وبـلا لـوم قدامـه في المحبـة، إذ سـبق فعيَّننـا للتبـني بيسـوع المسيح لنفسـه حسـب مسرة مشـيئته.» (أف ١:٤و٥)

فـا لله الآب أكمـل الفـداء في الأزل، والابـن أتم الفـداء في الزمـن. لذلـك أصبـح لقـب الفـادي مـن أخـص خصـائص الله الآب بالنسـبة لخلاصنا. ولقب الفديـة هـو لقـب الطاعـة للابـن تجـاه الآب، وهـو مـن

أعز وأنبل الصفات التي عرفناها عن المسيح وربطتنا به رباط الأبد. فسمتنا الأولى والعزيزة هي أننا المفديون كلقب خلاص للمجد والفخار وعلينا علامة الفداء دم الحمل، نُعرف بها بالروح لدى الملائكة والقوات السمائية وتقشعر منها القوات الشريرة وتظهر لهم كثياب بيضاء: «وأجاب واحد من الشيوخ قائلاً لي: هؤلاء المتسربلون بالثياب البيض مَنْ هم ومن أين أتوا؟ فقلت له: يا سيد أنت تعلم. فقال لي: هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة وقد غسَّلوا ثيابهم وبيَّضوا ثيابهم في دم الخروف.» (رؤ ٧:١٣و١٤)

والفدية قريبة المعنى واللفظ في العبرية من الكفارة، ولكن يُقال إن الله فدانا بابنه، وقدَّمه كفَّارة لنا. فالمسيح لما كفَّر خطايانا، فدانا من الموت – وكلا اللفظين في العبرية يعني "غطَّى" – فالفداء غطاء أي حَجْب الموت عنَّا، والتكفير تغطية بمعنى حَجْب الخطية. والتغطية في اللغة العبرية هي **الكبوراة**، وهي بالعربية **الكفارة**، وفي اللغة الإنجليزية المتأثرة بالعبرية Cover.

الفدية في إنجيل القديس مرقس:

+ «لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأتِ ليُخدم بل ليَخدم **وليبذل نفسه فدية** λύτρον **عن كثيرين**.» (مر ١٠:٤٥)

الفدية في إنجيل القديس متى:

+ «كما أن ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدم بل ليَخدم **وليبذل نفسه فدية عن كثيرين**.» (مت ٢٠:٢٨)

والفارق الوحيد بين النصَّين دقيق وبديع. فالمسيح يعطي للفدية في إنجيل القديس متى **دافع الخدمة وكرامتها في بذلها**، إذ بينما يسردها القديس مرقس كواقع قائم بذاته: "ابن الإنسان فدية"، يسردها القديس متى كمثل يُحتذى به يسلمه المسيح للتلاميذ ليكون رائد الخدمة المتضعة جداً ليرفع من قيمتها اللاهوتية. والذي يوضح هذه النية عند المسيح الآية التي سبقتها: «مَنْ أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبداً. كما أن ابن الإنسان لم يأتِ لِيُخدم بل لِيَخدم وليبذل نفسه فدية!!...» (مت ٢٠:٢٧و٢٨)

والعجيب الذي يثير انتباهنا أن المسيح – فعلاً – غسل أرجل تلاميذه قبل أن يكمل العشاء الأخير، إذ قام عن العشاء وغسل أرجل تلاميذه، فصار عبداً حقاً قبل أن يصير سيداً بالحق: «قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة واتّزر بها. ثم صبَّ ماءً في مِغْسَلٍ وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ...» (يو ١٣:٤و٥). وبعدها أكمل ذبح نفسه، إذ صبَّ دمه في كأس وأكمل الفدية قبل أن يكملها على الصليب.

انظروا يا إخوة، أين موقع الخدمة من الفداء؟ وأي خدمة؟ خدمة العبد! «لأني أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعتُ أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً! الحقَّ الحقَّ أقول لكم: إنه ليس عبد (أنتم) أعظم من سيده (أنا).» (يو ١٣:١٥و١٦)

وانظروا يا رجال الكنيسة، وانتبهوا يا رجال الكنائس الذين تجتمعون دائماً لتتنازعوا على لاهوت الفداء وتركتم المدخل.

الفدية عند القديس بولس:

+ «لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح، الذي بذل نفسه فدية ἀντίλυτρον لأجل الجميع الشهادة في أوقاتها الخاصة.» (١تي ٢: ٥و٦)

هنا لم يعُدْ موضع "لابن الإنسان"، اللقب الذي استخدمه المسيح عن الفدية في الإنجيل كما هو مزمع أن يقدمها - كالعبد المُهان - على مستوى خدمة البشرية كلها وغسل أرجلها التي تدنست في طرق وطرائق العالم: «مِلنا كلٌّ واحد إلى طريقه، والرب وضع عليه إثم جميعنا» (إش ٥٣: ٦). ولكن القديس بولس هنا يستعلن "ابن الإنسان" الذي في الإنجيل، أنه هو هو الذي استعلن الإله والإنسان معاً، وقف وسيطاً يمثل البشرية المهانة - على الصليب - أمام الله الآب يطلب لها الرحمة والغفران. علماً بأن كلمة "الرحمة" ἔλεος هي اللفظة التي اشتُقت منها كلمة **الكفّارة** ἱλασμός، ثم صارت في الطقس واللاهوت معاً هي غطاء التابوت ἱλαστήριον المسمَّى كرسي الرحمة الذي اعتبره بولس الرسول أنه هو المسيح (رو ٣: ٢٥)، الذي حمل في دمه كل خطايا البشرية فكفّرها أي غفرها أو غطّاها، ثم قام من الأموات وظهر أمامنا وتعيَّن أنه ابن الله ممثّلاً الآب لنا، مُصالحاً ومتبنياً لنا وساكباً حبه مع روحه القدوس.

بولس الرسول يريد أن يقول إن **الفدية** التي قدَّمها (المسيح) لله من أجلنا - حسب مشيئة الله كالتدبير - هي التي أهَّلته أن يقف وسيطاً بيننا وبين الآب، عاقداً باسمنا ولحمنا ودمنا عقد الصلح

الأبـدي مـع الآب بعـد أن أخـذ خطايانـا في جسـده علـى الخشـبة وقَبِلَ اللعنـة راضيـاً وبمـرارة غَصَّـت حلقـه علـى الصليـب، حتـى إن ذلـك الهـادئ الوديـع، الـذي لم يسـمع أحـد صوتـه في الشـوارع، صـرخ على الصليـب مـن عِظَـم المهانـة والفضيحـة إذ دخـل العـار حلقـه وكسـر قلبـه، وراجـع الآب في عِظَـم جفائـه والعلقـم الـذي سـقاه، صـرخ بصـوت عظيـم ولم يـبالِ لا برعبـة الملائكـة ولا بشـماتة الشيطان: "إلهي إلهي لماذا تركتني". نعـم هـذا هـو وسيطنا الـذي قَبِلَ مـن الله الآب حكـم المـوت واللعنـة، كيـف لا يقسـم لـه أبـوه غنيمـة بـين الأعـزاء ويرفعـه ويعليـه فـوق كـل العظمـاء، ويعطيـه كـل سـؤل قلبـه صلحـاً لنـا وسـلاماً وبنـوَّة في بنوَّتـه وميراثـاً في ميراثـه، فنِعْـمَ الوسـيط!!

يـا إخـوة نحـن أغفلنـا حـق وسيطنا لـدى الآب، وإلى الآن لم نُقـدِّم لـه مثقـال ذرة عِـوَض جبـال الرحمـة الـتي أحاطنـا بهـا، والحـب الـذي سـكبه لنـا مـن قلبـه المجـروح ومـن قلـب الآب الـذي سُـرَّ أن يسـحقه بـالحزن حتـى يعتصـر مـن دمـه لنـا حيـاة. لا صـلاة شـكر قدَّمنـا كمـا يليـق، ولا تسـبيحاً لا بـالليل ولا بالنهـار، ولا دخلنـا معـه في عِشْـرة حلـوة يجـري فيهـا حديثنـا معـه سرًّا وبتهليـل وأصـوات لا تهـدأ، تغـار منهـا الملائكـة في السـماء.

يا إخوة قد أغفلتم عقـد المحبـة، مـا سـلَّمكم مـن جـرح جنبـه: عقـد الخطوبـة الـذي حـرره بولـس بيديـه، بـل زواج يوثِّقـه الـروح القـدس على المذبـح كـل يـوم إذ يسـقينا دم العريـس ويُطعمنـا جسـده ويوثِّـق الاتحـاد ليحيـا فينـا ونحيـا بـه، كالتصـاق العريـس بـالعروس: «أنتـم فيَّ

وأنا فيكم» (يو ١٤: ٢٠). فأين الحب الذي بادلناه؟ وأين السهر؟ وأين أواني الزيت؟ وأين المصابيح وها الصوت آتٍ من بعيد؟ فماذا أنتم فاعلون؟ الزمان مقصَّرٌ وقد تناهى الليل، وهي الساعة الأخيرة. لقد سوَّفتم العمر باطلاً وزيتكم قد تناقص، والزمان زمان رديء عَزَّ فيه البيع والشراء، والكلمة جفَّت في حلق الحكيم وليس مَنْ يعلِّم الحق والكل معلمون. والفادي يناديكم: انظروا جروحي والخطية التي حملت واللعنة التي تقبَّلت والانكسار الذي عانيت. فاتركوا الجهالات وتعالوا إليَّ، لأن عندي الحياة والنور والنعمة، وطهارتي أهبها لكم مجاناً، وميراث حب الآب لي أقتسمه معكم، تعالوا.

الفدية عند القديس بطرس:

+ **«عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح، معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم، ولكن قد أُظهِرَ في الأزمنة الأخيرة من أجلكم.»** (١بط ١: ١٨-٢٠)
+ **«الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر.»** (١بط ٢: ٢٤)

لا يزال الرسل هنا منفعلين بتوصيف "الفدية" كما قدمها المسيح، أنها على مستوى الخدمة المنسحقة التي للعبيد، مع الاتضاع إلى مستوى غسل الأرجل كالوصية. فهنا يرفع القديس بطرس من هِمَّة الإخوة اليهود الذين ورثوا عادات سيئة

وممارسات مشينة من تقليد آبائهم في السيرة الباطلة. ولم يجد ما يلهب قلوبهم إلاَّ آلام "الفدية" ودماؤها التي قدمها المسيح كحمل وديع بلا عيب ولا دنس. ثم يصف القديس بطرس "الفدية" في شكلها العام أنها ليست على مستوى الأمور الفانية، ذهب وفضة، بل فدية على مستوى الحق والصدق والخلود. فالفدية التي قدمها المسيح، يا إخوة، بذبح الجسد وسفك الدم، ثمَّنها الله أبوه بالحياة الأبدية وكل أمجاد السماء والمجلس الأول عن يمينه، ودمه يتكلم بالشفاعة عنا كل حين. وآثارها هي أبدية، قائمة كما هي يوم قدِّمت، إلى هذه الساعة وإلى نهاية الدهور. فالمسيح ليس أقل من هابيل ولا دم هذا أقل من دم ذاك: الذي «وإن مات يتكلم بعد.» (عب ١١:٤)

هكذا فدية المسيح، يا إخوة، لا تزال تتكلم وتحكي عن آلامها المروعة وما وُضِعَ عليها من خطايا. فالذي لم يعرف خطية **"جعله الله أبوه خطية" من أجلنا**، حتى حينما يهرب منه الزاني أو المستبيح أو المتهتك في القباحة والإثم والمتدنس بأفعال الدنس، يجري وراءه صوت دم ابن الله ليناديه: تعالَ يا ابني وحبيبي، خطيتك عندي وأنا حملتها تماماً كيوم مارستها، ودفعتُ ثمنها ضرباً وسحقاً وصلباً ولعنة وعاراً، وأخذت لك صكَّ غفران عنها وبراءة بل واكتسبت لحسابك نوط جدارة. تعالَ تعالَ، لأفرح بك بقدر ما تعبت من أجلك. تعالَ، لأُلبسك تاج الخلاص وأسكب عليك من حبي وروحي وأُقدمك إلى أبي، فأنت أعزُّ خرافي وقد ثمَّنتُك بدمي!!

القديس بطرس يذكر المسيح هنا مشبِّهاً إيَّاه بالحمل، ولكن لا يقصد الحمل نفسه بل دمه. والحمل مع الدم يستخرج منهما القديس بطرس ذبيحة دموية، والحمل يمثل طهارة الفدية وغاية براءتها. ففي ذهن القديس بطرس شاة إشعياء التي تساق إلى الذبح لا تفتح فاها: «وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه لم يجب بشيء. فقال له بيلاطس: أمَا تسمع كم يشهدون عليك، **فلم يُجبه ولا عن كلمة واحدة حتى تعجب الوالي جداً.**» (مت ٢٧:١٢-١٤)

+ «أما هو فتذلل و لم يفتح فاه... والرب وضع عليه إثم جميعنا... على أنه لم يعمل ظلماً و لم يكن في فمه غش.» (إش ٥٣:٧و٦و٩)

ثم بقوله "حمل **بلا عيب**" يستحضر أمامنا المناسبة بين "فدية" المسيح وحمل الفصح. فالمناسبة شديدة، ولكن من جهة الخلاص من الملاك المُهلك بسبب التركيز على **"الدم"**. فالدم **الكريم** τιμίῳ يشير إلى ارتفاع قيمة الفدية، فهو – دم ابن الله – ليس في مقابل الذهب والفضة بعد، بل في مقابل فداحة الثمن المطلوب لدفع غرامة خطايا عَجَزَ الناموسُ عن غفرانها. فيا خطاة كل الأرض بكل صنوف خطايا العمد مع سبق الإصرار وتوفُّر النية المبيتة وكل ظروف الحكم بالإعدام بلا رحمة، تعالوا، اقتربوا من الدم الكريم لتجدوا خطاياكم ذابتْ في لجة قوة هذه الفدية (الغفران بالدم لا يمنع القضاء أن ينفذ قوانينه). فموت الجسد لا يمنع فعل الغفران ونوال الحياة الأبدية، بشرط الاعتراف والتوبة.

«معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم، ولكن قد أُظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم» (١بط ١: ٢٠):

الكلام هنا مجمل عن المسيح، ولكن القديس بطرس يقصد بوضوح عملية الفداء وما تم بمقتضاها في مشيئة الآب الأزلية وتدبيره من جهة اختيار الإنسان وخلاصه بواسطة ابنه، الذي إذ تجسد في ملء الزمن نفّذ المشيئة الأزلية التي للآب، وهكذا استعلن في الزمن ما كان مخفياً في مشيئة الآب في الأزل. أما قول القديس بطرس أن الفداء بحسب مشيئة الآب أُظهر في الأزمنة الأخيرة، فبقوله: الأزمنة الأخيرة، يفصلها عن الأزمنة الأولى التي كانت من نصيب الأنبياء الذين سبقوا فأنبأوا بمجيء البار: «الخلاص الذي فتّش وبحث عنه أنبياء الذين تنبأوا عن النعمة التي لأجلكم، باحثين أيُّ وقت أو ما (حال) الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها.» (١بط ١: ١٠و١١)

والقديس بولس الرسول يؤكد هذه الحقيقة أن الله الآب سبق فاختارنا قبل تأسيس العالم، وحتماً من واقع الفداء الذي كانت صورته كاملة في مشيئة الآب وتدبيره: «الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة، إذ سبق فعيَّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته» (أف ١: ٣-٥). وواضح من كلام القديس بولس هنا أنه سواء كان اختيارنا في المسيح قبل تأسيس العالم - أي في الأزلية - أو مسرة مشيئته من

جهتنا بأن يجعلنا قديسين وبلا لوم لنقف أمامه نسبحه ونمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب - باعتبار ما سيكون في الزمن - بحسب مسرة مشيئته منذ الأزل، كل هذه كانت خطة الآب الأزلية المتكاملة من نحونا نفّذها الابن في ملء الزمن، وسواء كانت في الأزل في تصوُّر قلب الله أو حادثة في الزمن، ينبغي أن نعرف تماماً أنها خطة حب عارم احتفظ بها الله في قلبه وسلمها للابن المحبوب ليكمل له حبه في ملء الزمن، و«يُصالحنا لنفسه».

فيا أبناء محبة الله، الذين نقلهم من ملكوت الظلمة تحت قيود الشيطان إلى ملكوت ابن محبته (كو ١:١٣)، وحرسهم بنعمته وآزرهم بروح قدسه ونقشهم على كفّه (إش ٤٩:١٦)، ماذا قدمتم لقلب الآب الذي هكذا أحبكم بمشيئة أزلية وازداد حبه لما وهبكم كماله المسيحي وتبنّاكم لتكونوا خليقة جديدة تقف أمامه تمدح مجد نعمته؟ هل تعلمون أن وظيفتكم التي صرتم بنينَ على أساسها هي وقوفكم أمامه تمدحون مجد نعمته، كخوارس تتقدَّم كل الملائكة، كأبناء تبنّاهم الله لنفسه ليسرَّ بهم ويفرحون بحضرته؟ القديس يوحنا يقول كمختبر من واقع حي: «الذي رأيناه وسمعناه نُخبركم به لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا، وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح، ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً» (١يو ١:٣و٤). وماذا كانت شركة الرسل: «**هؤلاء كلهم كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة** والطلبة مع النساء ومريم أم يسوع ومع إخوته» (أع ١:١٤)، «**وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر**

الخبز والصلوات» (أع ٢: ٤٢). هكذا بُنيت الكنيسة على النفس الواحدة والصلاة معاً!!

«الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر»:

هنا "**الفداء**" يأخذ قوة ملامحه الأولى عند القديس بطرس. فالأصل في الفداء أن يفدينا المسيح من لعنة الهلاك وحكم الموت الأبدي. ولكن لا يمكن أن يجري هذا الحكم على المسيح أو يقبل جسده الموت واللعنة بأي حال، لأنه قدوس وبلا عيب بشهادة الكتاب وباعترافه هو: «مَنْ منكم يُبكّتني على خطية...؟» (يو ٨: ٤٦)

ولكن كونه يأخذ جسداً طاهراً من العذراء القديسة مريم، كان هذا أول خطوة لرسم خطة الفداء.

ثم يقبل **هو نفسه** بحرية إرادته ولكن بحسب مشيئة الآب، أن يحمل خطايانا (بصفة كليَّة وعامة) في جسده على الخشبة. هنا وضح تماماً أن النية للموت كملت. ويسأل الجميع سؤالاً يتردد منذ البدء كمعضلة لاهوتية: كيف حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة؟

نجد الإجابة على هذا السؤال بالعودة إلى محاكمة المسيح سواء أمام مجمع قضاة إسرائيل أو المحكمة الرومانية: الأول يمثل الله رسمياً وينطق باسمه ويحكم بأمره، والثانية تمثل أعلى محكمة قضائية في العالم.

والآن إلى محضر المحكمة وملابسات الحكم بالموت صلباً:

لأول وهلة يحسب الفاحص لمحضر الجلسة أن القضية ملفّقة، بدليل أن بيلاطس أعلن أن **رؤساء الكهنة أسلموه حسداً**، ولثلاث مرات خرج بيلاطس يعلن أن **المتهم بريء ولم يجد فيه علّة واحدة للموت**، وفي النهاية غسل يديه من ذنب هذا البار وحكم بصلبه. فما هي حقيقة الأمر؟ هل تجنّى رؤساء الكهنة؟ أو هل تجنّى بيلاطس؟

وهنا إذ نركّز على اعترافات المسيح كمتهم نخرج بالحقيقة، لأن أكثر ما يذهل القارئ في كل مفردات هذه القضية هو **موقف المسيح**:

فسلوك المسيح هو في الحقيقة الذي جرّ رؤساء الكهنة ليحكموا بالصلب، وهم في غاية الارتياح من جهة الضمير، وإليك أيها القارئ **سؤال رئيس الكهنة موجَّهاً للمسيح مباشرة**: بعد أن تقدَّم شاهدا زور وأدليا بالاتهام، «**قام رئيس الكهنة** وقال له: أما تجيب بشيء؟ ماذا يشهد به هذان عليك؟ وأما يسوع **فكان ساكتاً...**» (مت ٢٦:٦٢و٦٣)

سؤال بيلاطس: «وقف يسوع أمام الوالي... وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه، **لم يجب بشيء**، فقال له بيلاطس: أما تسمع كم يشهدون عليك؟ **فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة حتى تعجب الوالي جداً**.» (مت ٢٧:١١-١٤)

وفي إنجيل القديس مرقس تتكرر الأسئلة من رئيس الكهنة ومن بيلاطس رئيس المحكمة: «**ولم يجب بشيء**.» (مر ١٤:٦١؛ ١٥:٥)

سـؤال هـيرودس: وترجَّى هـيرودس أن يرى آية تُصنع أمامه «وسأله بكلام كثير **فلم يجبه بشيء**.» (لو ٢٣:٩)

المحاكمة في إنجيل القديس يوحنا:

وهنا تختلف مواقف الصمت وتتحوَّل في فم يسوع إلى مهاجمة سواء على رئيس الكهنة أو بيلاطس.

رئيس الكهنة: «فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه».

أجابه يسوع: «أنا كلّمت العالم علانية. أنا علّمت كل حين في المجمع (أمام رؤساء الكهنة) وفي الهيكل حيث يجتمع اليهود دائماً، وفي الخفاء لم أتكلم بشيء. **لماذا تسألني أنا؟ اسأل الذين قد سمعوا** (اسأل نفسك) ماذا كلمتهم؟ هوذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا.» (يو ١٨:١٩-٢١)

والآن نلخِّص سلوك المسيح:

يُفهم من صمت المسيح إزاء الأسئلة الرئيسية الخاصة بالاتهام، إذ كانت ردود المسيح كلها مسجلة بالصمت، حيث يمعن الإنجيل في ذِكر حالة الصمت أمام بيلاطس بالقول: «**فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة حتى تعجب الوالي جداً**»، يُفهم من هذا أن المسيح حرص كل الحرص أن لا يجيب على أي اتهام ولا بكلمة واحدة. أما تعجُّب بيلاطس فلأن سلوك المتهم سيؤدي إلى فقدان كل حقوقه وسينتهي بأقسى عقوبة.

ومن هذا السلوك الذي سلكه المسيح في المحاكمة التي اتُّهم فيها رسمياً بأنه فاعل شر ومهيِّج ومُفسد بتعاليمه للأمة، تثبتت عليه

هـذه التهمـة الـتي تشـمل بـالضرورة الحط مـن النـاموس وكسـر السـبت الـتي عقوبتهـا بحسـب النـاموس الصلـب!!!

إذاً، فصمْـتُ المسيح بهـذه الصـورة وخاصـة أمـام رؤسـاء الكهنـة، جرَّ رؤسـاء الكهنـة إلى سـهولة الحكـم عليـه وظنّـوا أنـه فعـلاً مسـتحق الصلـب. أمـا صمـت المسيح أمـام بيلاطـس فجعـل صـوت رؤسـاء الكهنـة هـو الوحيـد المسـموع؛ وإلحـاحهم بعقوبـة الصلـب دون أي اعتراض مـن المسيح، جعـل بيلاطـس أخـيراً مضطـراً للموافقـة.

فلـو تذكّرنـا كـم مـرة سبق المسيح وأعلـن لتلاميـذه أنـه سـيموت علـى الصليـب – أي تحـت اللعنـة – نـدرك أن المسـيح كـان يجـرّ المحكمـة فعـلاً للحكـم بـالصلب، والقصـد أن يحمـل الخطيـة واللعنـة بإرادتـه. فلمـا دُقـت المسـامير في جسـده، دُقـت الخطيـة كعلّـة المـوت. ولمـا ارتفـع الصليـب عاليـاً كملـت شـروط اللعنـة: «ملعـونٌ كـل مَـنْ عُلّـق علـى خشـبة» (غـل ٣:١٣). وهكـذا تقبّـل لعنـة النـاموس بسـكوته.

إلى هنا نكون قد أعطينـا فكـرة لاهوتيـة مختصـرة عـن الفديـة.

فما هي "الكفّارة"؟ الـتي تُحسـب بحـد ذاتهـا شـرحاً للفديـة.

الكفارة في المفهوم المسيحي:

القديـس بولـس:

+ «متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدَّمـه الله **كفارة** ἱλαστήριον بالإيمان بدمه، لإظهار برِّه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله.» (رو ٣:٢٤و٢٥)

هنا فلينتبه القـارئ لـورود كلمـة **إيلاسـتيريون** بمعنـى كفّـارة.

القديس يوحنا:

+ «في هذا هي المحبة ليس أننا نحن أحببنا الله، بل أنه هو الذي أحبنا وأرسل ابنه **كفارة** ἱλασμός لخطايانا.» (١يو ٤: ١٠)
+ «وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب، يسوع المسيح البار، وهو **كفارة** ἱλασμός لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً.» (١يو ٢: ١و٢)

القديس بولس في العبرانيين:

+ «من ثمَّ كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء (المسيح) لكي يكون رحيماً ἐλεήμων، ورئيس كهنة أميناً في ما لله حتى **يكفّر** ἱλάσκεσθαι خطايا الشعب.» (عب ٢: ١٧)

الكفّارة:

باللغة العبرانية هي الكبوراة، وتعني التغطية، أي التغطية للخطية فلا تعمل عملها في الموت.

وهي باللغة اليونانية: ἱλασμός وأصلها ἵλεως، وتعني الصفح: «وأكون صفوحاً ἵλεως عن آثامهم» (عب ٨: ٢٠). وهي في العهد القديم تفيد صفة الرحمة الخاصة بالله، ولكن في العهد القديم فقط إذ لا وجود لهذه الصفة في العهد الجديد لأنها أصلاً مستخدمة في كلمة الإيلاستيريون، وهو غطاء تابوت الشهادة الذي احتفظ به موسى في سيناء وكان يحوي لوحي العهد، وقسط المن، وعصا هرون التي أزهرت وأفرخت تذكارا لأعمال الله مع الشعب العابر في سيناء. فعصا هرون التي أزهرت وأفرخت كانت علامة رضى الله على الشعب بسبب سبط لاوي

الـذي تـرأس عليـه هـرون وكـان أول رئيـس كهنـة، وحُفظـت في تـابوت الشهادة لبقـاء رضـى الله علـى الشـعب، إزاء التمـرد الـذي كـان قـد حـدث: «وقـال الـرب لموسـى رُدَّ عصـا هـرون إلى أمـام الشـهادة (التـابوت) لأجـل الحِفـظ علامـة لبـني التمـرُّد فتكـفَّ تذمراتهـم عـني لكـي لا يموتـوا» (عـدد ١٧: ١٠). أمـا لوحـا الشـهادة فهمـا لوحـا الحجـر اللـذان كُتـب عليهمـا وصايـا الله. وقسـط المـن علامـة علـى رعايـة الله لشـعبه إذ أعطـاهم خبزاً مـن السـماء طـوال رحلتهـم ٤٠ سـنة. وكـان غطـاء التـابوت الإيلاستيريون مصنوعـاً مـن الذهب، وكـان الله يخاطب موسـى مـن فوقـه.

والـذي أدخـل كلمـة "**الإيلاسـتيريون**" إلى العهـد الجديـد هـو بولـس الرسـول، إذ أوردهـا في الآيـة المذكـورة أعـلاه (رو ٣: ٢٥) بمعنى "**كفّـارة**" مباشـرة. فكـان هـذا يُعـدُّ سـبقاً لا مثيـل لـه، إذ جعلنـا ننتبـه إلى الإيلاسـتيريون أي غطـاء التـابوت باعتبـاره يمثّـل "**الكفـارة**"، لأن رئيـس الكهنـة كـان ينضـح عليـه بأصبعـه مـن دم ذبيحـة الكفـارة فتُغفـر كـل الخطايـا الـتي اعـترف بهـا الشـعب أو الخـاطئ علـى رأس ذبيحة المحرقـة قبـل ذبحهـا. وبهـذا وضـح أمامنـا لاهـوت العهـد القديـم مطبَّقـاً علـى مـا تم مـع المسـيح علـى الصليـب باعتبـاره "ذبيحـة مُحْرَقَـة"، وأن دمـه حمـل كـل خطايانـا فكفَّرهـا أي غطَّاهـا علـى الصليـب الـذي نضـح عليـه دمـه. ومعـروف في الطقـس الكنسـي أن الصندوق الـذي فيـه كـأس الـدم المقـدس، يوضـع علـى المذبـح حسـب التقليـد علـى لـوح خشـب يسـمَّى في الطقـس لـوح العهـد، مـأخوذاً – في المعنـى – مـن غطـاء التـابوت الـذي كـان ينضـح رئيـس الكهنـة

عليه الدم، دم ذبيحة الكفّارة، فيكفر خطايا المعترفين على رأس ثور الذبيحة، فأصبح هذا اللوح يمثّل الصليب.

وهكذا دخلت "**الكفارة**"، و"**ذبيحة الكفارة**"، و"**الإيلاستيريون**" – الكلمة التي أدخلها بولس الرسول بمعنى الكفارة – دخلت كلها في اللاهوت المسيحي كوسيلة عملية لشرح مفهوم الصليب والدم المسفوك وقوته في غفران الخطايا، بل وذبيحة المسيح نفسها ومفهوم قوتها الكفارية، مما كشف أمام أعيننا كل أسرار الفداء وغفران الخطايا في العهد الجديد، وصُوَرَه الأولى العملية في طقس العهد القديم.

ويهمنا أن نلفت نظر القارئ إلى أن الله رسم كل الطقوس القديمة لتحمل في طياتها شرح كل اللاهوت بدون مفسر وبدون شرح، إذ كان الشعب يؤمن بها ويمارسها حتى أُلقي الضوء عليها في عهد النور والنعمة.

ومن روائع الطقس الكنسي الذي أُهمل أمره وأُنسي ذِكره، طقس "**اعتراف الشعب**" بدون وسيط على دم المسيح فوق المذبح، إذ من صميم لزومية رفع البخور، أن الكاهن يدور دورته على الشعب ويقدم الشورية لكل مؤمن واقف في الكنيسة (وكان يلزم أن يتأنّى ويقف أمام كل واحد لحظة) حتى يقول اعترافه على الشورية سرًّا، بعدها يتجه الكاهن إلى باب الهيكل ويقف ويقدم البخور إلى فوق وهو يصلي رافعاً عينيه نحو الله ويقول: "... اقبل إليك اعترافات شعبك... إلخ"، ويتقدم ويبخر أمام المذبح وفوقه – فوق الكأس – لينقل إلى دم المسيح خطايا شعبه ليكفّرها أي يغفرها.

وإن كان لا يزال بعض الكهنة يمارسونها شكلاً في الطقس، إلاّ أنها توقفت عملياً منذ القرن الثالث عشر، وحلّ محلها الاعتراف على الكاهن (انظر كتاب: "مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة" لابن كبر قسيس كنيسة المعلقة، ولكن في مخطوطة غير مشوّهة، وهو مدوَّن في القرن الثالث عشر).

تصحيح خطأ لاهوتي شائع:

"مات من أجلنا"، وليس "عنا":

ولكن المسيح قَبِلَ اللعنة من أجلنا، ولا يُقال "عنّا"، لأنه مات بنا وليس عنا، لأنه أخذ جسداً من جسدنا وأخذ خطايانا في جسده هذا، على الصليب. بمعنى أن المسيح تبنّى البشرية العتيقة في نفسه، فلما صُلب بها دخلت معه اللعنة حتماً لتوفي عقوبتها؛ أما نحن فأخذنا اللعنة عن آدم باستحقاق خطايانا، أما هو فأخذها بالمشاركة كمشيئة أبيه وباختياره، وليس عن استحقاق قط لأنه كان قدوساً وبلا شر. فالمسيح جاز بالبشرية العتيقة الآلام والموت واللعنة لتستوفي عقوبتها وهي فيه، ثم قام بلاهوته فأقامها معه. فلما مات على الصليب مُتنا معه، ولما دُفن دُفنّا معه، ولكن لأنه هو ابن الله و لم يكن مستوجباً الموت أو اللعنة، قام من الموت كإله، بما له من قداسة وقوة حياة تدوم، إذ لم يستطع الموت أن يمسك به ولا اللعنة استطاعت أن تحجزه في الهاوية، فقام بكامل مجده الذي له مع الآب منتصراً على الخطية واللعنة والموت والهاوية.

أما نحن فأقامنا معه لأننا كنا فيه.

فلـولاه لبقينـا في المـوت واللعنـة إلى الأبـد، ولكـن لمـا قـام أقامنـا معـه. ولأنـه كـان متحـداً بنـا، غلبنـا المـوت بغلبتـه وقمنـا بقيامتـه وأخذنا طبيعـة جديـدة من طبيعـة ليس عليهـا حكـم المـوت ولا اللعنـة وليس عليهـا سـلطان الخطيـة بعـد. وهـذه هـي البشـرية الجديـدة المؤهَّلة بـالروح لشـركة الحيـاة الأبديـة مـع الآب والابـن

فحينمـا يقـول بولـس الرسـول أن: «المسـيح افتدانـا مـن لعنـة النـاموس» (غـل ٣:١٣)، فهـو يعـني أن المسـيح فدانـا بقبولـه اللعنـة على الصليـب **لأجلنـا**، وبالتـالي صـار لعنـة أيضـاً **لأجلنـا**، بمعنـى أنـه صـار مصلوبـاً **لأجلنا** وليـس "عنـا". لأن كلمـة "عنـا" هنـا خطـيرة للغايـة، إذ تجعـل قبولـه المـوت واللعنـة كاسـتحقاق شـخصي وهـذا يلغي الفدية إلغـاءً، ولكنـه قَبِلَ اللعنـة "**لأجلنـا**" وعـن محبـة فقـط، عـن حـب وطاعـة لأبيـه، فصـار هـذا فديـة محبـة بكـل المعنـى والموازيـن «أحبـني وأسـلم نفسـه لأجلـي.» (غـل ٢:٢٠)

ومـا يُقـال في اللعنـة يُقـال في الآلام. لذلـك نقـول: «تألمنـا معـه» لأنه تألم **لأجلنـا** وليـس "عنـا" كأنـه باسـتحقاق شـخصي، وحاشـا.
كذلك يُقال في المـوت، فنحـن متنـا معـه لأنـه مـات **لأجلنا** وليـس "عنا" كأنـه باسـتحقاق شـخصي مـات.

وهكـذا يظهـر مقـدار الخطـأ اللاهوتـي في القـول بـأن المسيح تـألم عنا أو مـات عنـا أو قَبِلَ اللعنـة عنـا. ولكـن وللأسـف لا يـزال يسـقط في هذا التعبير كثيرون حتـى الآن. لهـذا لـزم التنبيـه.

ذبيحة المحرقة وكيف فدانا المسيح من لعنة الناموس:

في ذبيحة المحرقة في العهد القديم – ثور مثلاً – كان رئيس الكهنة أو الشعب ممثلاً في رؤساء أسباطه يعترف على رأس الثور، عن خطايا السهو فقط لأن خطايا العمد ليس لها ذبيحة، ثم يذبح رئيسُ الكهنة الثورَ ويأخذ من دمه ويدخل إلى قدس الأقداس، **وينضح منه على غطاء التابوت** بحضرة الله الذي يكون قائماً في سحابة البخور الذي يرفعه رئيس الكهنة فوق التابوت من المجمرة التي بيده. بعد ذلك تُحرق ذبيحة المحرقة خارج المحلة وتظل النار مشتعلة أمام الشعب طول الليل – منظر حزين ومرعب – فالثور حمل الخطايا وسُفك دمه وقُدِّم منه على غطاء التابوت أمام الله للغفران ثم أُحرق بكماله. ماذا تمّ؟ ذَبْح الثور أي موته بسفك دمه – ومعروف أن الدم فيه النفس أي الحياة – اعتبر نفساً بنفس، نفس الثور وحياته عِوَض نفس الخاطئ وموته، وكأن حياة الثور التي في دمه استبقت حياة الخاطئ أمام الله. والمعنى والواقع هو أن تموت الذبيحة ويحيا الخاطئ. والنار تمثل غضب الله واللعنة التي عِوَض أن كانت تنال من الخاطئ أحرقت الثور حتى آخره، فالثور حمل اللعنة والغضب الإلهي عوض الخاطئ. وهنا حُسبت الذبيحة كفارة لخطايا الخاطئ، وحُسب الذبح والموت والدم للتكفير عن الخطايا والحصول على الغفران من الله أمام غطاء التابوت الذي يُنضح عليه الدم وفيه الخطايا، والحريق والنار التي أفنت وجود الثور فناءً حُسبت للتكفير عن اللعنة والغضب الإلهي الذي كان يعني إهمال الله للخاطئ والتخلّي نهائياً عنه. فبهذا التصوُّر يقدم لنا بولس الرسول آيته الفريدة التي يصف بها ما حدث للمسيح

بالنسبة لنا كخطاة وتحت اللعنة هكذا:

+ «**جعل الذي لم يعرف خطية خطيةً لأجلنا**، لنصير نحن برَّ الله فيه.» (٢كو٥: ٢١)

+ «المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ **صار لعنة لأجلنا**، لأنه مكتوب ملعونٌ كل مَنْ عُلِّق على خشبة.» (غل ٣: ١٣)

فمن جهة الخطية تحمَّل المسيح الخطايا كلها عليه، خطايا السهو والعمد، ولكي يُجعل المسيح كفؤاً أن يحمل كل خطية من كل نوع ونوع بكل تحديد دون أن تفلت خطية واحدة لم يحملها المسيح، وضعها القديس بولس في **وضعها المطلق: صار "خطية"**، لكي لا يجزع أي خاطئ من نوع خطيته بعد، ظانًّا أن خطيته لا يمكن أن تُحسب بين الخطايا لشناعتها!!

وقد سبق أن وصفنا متى أخذ المسيح خطايانا في جسده على الخشبة؟ وكيف أخذها؟ بقبوله حكم رؤساء الكهنة في المجمع وحكم بيلاطس في المحكمة الرومانية دون اعتراض أو مناقشة، حاسباً كل الاتهامات بكل الخطايا أنها صحيحة بالنسبة له. وهنا المنظر مثير جداً للعواطف لذوي الخيال الحي: فهنا وقف المسيح موقف ذبيحة المحرقة قبل ذبحها صامتاً، والشعب كله يعترف بخطاياه على رأسه وبناءً عليه اعتبره الناموس مستحقاً الذبح والموت. فهنا المسيح وقف نفس الوقفة صامتاً أمام نفس رئيس الكهنة وكل شيوخ الشعب يعدِّدون خطاياه ويصبونها عليه، وهو واقف **صامتاً** يتقبلها دون اعتراض أو مناقشة، وأخيراً حدَّدوا آلة موته صلباً كملعون من الله لأنه خالف الناموس، فلم يعترض بل

حمل صليب اللعنة على كتفه كمَنْ حمل العار بإرادته قبل أن يرفعوه عليه فيتقبل اللعنة كعقوبة من الله لتحرمه من الله: «إلهي إلهي لماذا تركتني»؟

هكذا "**صار لعنة من أجلنا**" لننجو من اللعنة إلى الأبد.

كما "**صار خطية من أجلنا**" لنفوز بالغفران والصفح، فننال البر الأبدي.

ولكن هل حلّت لعنة الله على المسيح حقاً؟ أم أنها مجرد تصوُّر وكلام.

بدأ هذا النزاع الخطير في مسألة اللعنة منذ القرن الرابع، إذ أثار هذه القضية الخطيرة القديس جيروم ٣٢٤-٤٢٠م، وأصرَّ أن المسيح لا يمكن أن تحلَّ عليه لعنة إذ هو قدوس، وأن التمسك بالقول بأن المسيح صار لعنة هو تجديف. وانحاز له أساقفة الغرب منذ ذلك الزمان وبعضهم حتى إلى الآن، وانبرى الأساقفة واللاهوتيون يدافعون عن قداسة المسيح تماماً كما صنع القديس بطرس مدافعاً عن فكرة الصلب للمسيح بنوع من القناعة والتشدُّد: «حاشاك يا رب»! فبطرس يعرف أن الصلب هو عقوبة الخطاة المجرمين الذين تحل عليهم اللعنة إذ يُرفعون على الخشبة، فكيف يقول الرب يسوع لهم: "أن ابن الإنسان سيُصلب ويموت"؟؟ ولكن كان رد المسيح بل رد اللاهوت الذي لا يشوبه فكر بشري هكذا: «فأخذه بطرس إليه، وابتدأ ينتهره (ينتهر المسيح؟) قائلاً: حاشاك يا رب، لا يكون لك هذا. فالتفت وقال لبطرس: اذهب عني يا شيطان، أنت معثرة لي **لأنك لا تهتم بما**

لله لكن بما للنــــاس.» (مـت ١٦: ٢٢و٢٣)

وقـد عـدَّد العـالِم الألمـاني مـاير في كتابـه: "شـرح رسـالة غلاطيـة" أسمـاء أعـاظم اللاهوتيـين المحدثـين الذيـن تزعمـوا موقـف بطـرس للمحامـاة عـن قداسـة المسيح واستحالة قبولـه اللعنة. ولكـن لا نريـد أن نجعل مـن هـذه القضيـة قضيـة نـزاع فهـي قلـب الإيمـان وروحـه. إذ أن المسيح إن لم يكـن قـد تقبَّـل لعنـة النـاموس الـتي هـي لعنـة الله عينها، من أجلنا، مـا استطاع أن يمـوت أو مـا كـان موتـه حقيقيـاً بـل شُـبِّه لهـم كمـا يقولـون، ومـا اسـتطعنا نحـن أن نفلـت مـن اللعنـة الأبديـة والمـوت الأبـدي. فإمـا يتقبـل المسيح اللعنـة - "مـن أجلنـا" - ويمـوت ويقـوم في اليـوم الثـالث، وإمـا نحيـا نحـن في اللعنـة والمـوت أي تحـت الغضـب الإلهـي ولا نقــوم أبـداً. وردًّا علـى كـل دفـاع عـن استحالة قبـول المسيح اللعنـة لأنـه قـدوس وابـن الله، يكـون الـرد: لولا أن المسـيح قـدوس هـو وابـن الله مـا قَبِـلَ الخطيـة ومـا قَبِـلَ اللعنـة أي مـا قَبِـلَ الصلـب والمـوت، لأنـه بقداسـته ولاهوتـه داس المـوت بموته وقام من المـوت ونفـض عنـه وعنّـا اللعنـة إلى الأبـد.

لقـد أخـذ المسيح خليقتنـا بكـل مـا فيهـا ومـا عليهـا، وأخـذ علـى الصليب خطيتهـا في جسـده وقَبِـلَ لعنتهـا بـلا نقصـان. أخذهـا حسـب مشيئة أبيـه بالتدبير كخطـة منـذ الأزل بالمشيئة الأزليـة لتـتم كفعـل في عمق الزمن، ليصنـع بهـا ومنهـا خليقـة جديـدة لائقـة أن تكـون مـع الآب والابـن والـروح القـدس في شـركة حيـاة أبديـة وعلـى مسـتوى الابـن في البنـوَّة والمحبـة والميراث. أمـا أن تتدخـل عواطفنـا البطرسـية لتنتهـر المسيح مـرة أخـرى وتقـول لـه: حاشـاك أن يكـون لـك هـذا،

فهذه لا تزال مشورة الشيطان وفلسفته لتنهي على قوة الفداء ومعنى الكفارة بل وتجعل من كل مقولاتها نظريات مزيَّفة.

وإشعياء يصرخ من وراء الدهور ليقول: أيها اللاهوتيون هذه مشيئة الآب: «أما الربُّ فسُرَّ بأن يسحقه بالحزن، إنْ جعل نفسه ذبيحة إثم» (إش ٥٣: ١٠). وصوت المسيح من فوق الصليب يرد ويقول: آمين، موافقاً على سحق الآب ومرارة الكأس، ولكن في عتاب لقسوة التأديب: «إلهي إلهي لماذا تركتني». فالمسيح كان يصرخ من عمق بنوّته للآب مدافعاً عن الإنسان الذي حمله وهو في حال ذلّه، وغضب الله عليه.

فإن كان المسيح لم يقبل لعنة الله كلها بلا نقصان، يصبح قول بولس الرسول: "إنه افتدانا من لعنة الناموس"، حقيقة مزيَّفة ومجرد خداع.

فالله الآب الذي رضي بأن يجعله خطية من أجلنا، ويجعله لعنة من أجلنا، حسب المشورة الأزلية والمشيئة الحكيمة لفدائنا وخلاصنا، هو هو الذي أقامه من الموت ورفعه فوق أعلى السموات وأجلسه عن يمينه.

فإن كان لا يزال بعض اللاهوتيين يقولون بأن المسيح لم يقبل اللعنة، يُقال لهم وكيف قَبِلَ الصليب؟ وهو عين اللعنة. بل لحرص المسيح أن يكمِّل اللعنة حتى آخر قطرة أو نسمة حياة ظل يعاني حتى لفظ آخر شهادة: "قد أُكْمِل"!! قد أكمل عمل الصليب الذي هو قبول اللعنة والغضب الإلهي حتى الموت استيفاء للعقوبة

كما قيلت من فم الله لآدم. ونحن نعجب من هذه الأفكار الضعيفة التي لا تستطيع أن ترتفع إلى مستوى عظمة الفداء ولا تزال ترى في "كلمة الصليب جهالة!! جهالة الله الذي هو أحكم من الناس!!" (١كو ١:٢٥)

ولكي نثبِّت فكر القارئ ونزيد الحقيقة تأكيداً، نلفت نظر القارئ إلى اهتمام بولس الرسول في توثيق قوله عن المسيح: إنه "**صار لعنة من أجلنا**"، إذ يضيف قرينة البرهان والتأكيد مباشرة من الكتاب: «**لأنه مكتوب ملعون كل مَنْ عُلِّق على خشبة**». ونذكِّر القارئ في عدد المرات الكثيرة التي تغنَّى المسيح فيها كونه "سيُصلب"، كمَنْ يرى في اللعنة القادمة قمة الرسالة وتاج الفداء وانفتاح الباب للعهد الجديد.

أما لماذا أورد القديس بولس هذه الحقيقة الفدائية الخطيرة، وأكَّدها وصمَّم عليها وبرهنها؟

فواضح أنه بانتهاء لعنة الناموس ينتهي الناموس بأكمله، وبانتهاء الناموس يبدأ الإيمان بالله بدون ناموس. فينفتح الباب للأمم للإيمان بالله على طقس إبراهيم حسب الوعد الصادق بالعهد الجديد.

وفي الختام ننقل للقارئ خلاصة بحث قام به أحد علماء الكتاب المقدس، وقد ورد في قاموس كيتل اللاهوتي الألماني في موضوع اللعنة:

[ليس عبثاً يتكلم بولس عن الفداء الذي تم لنا (غل ٣:١٣)، وعن التبرير الذي حصلنا عليه (رو ٣:٢١)، وعن

التصالح الذي جرى بيننا وبين الله (٢كو ٥:١٧).
وبالاختصار عن شركتنا مع الله، قبل أن يتكلم عن: «المسيح الذي **صار لعنة من أجلنا**»، والذي «**صار خطية**».

فكون المسيح يصير لعنة من أجلنا، يعني أن المسيح، قد وضعه الله في موضع بُعدنا عن الله وتخليته عنّا، حتى يُخرجنا من هذه الغربة والتخلية ويُدخلنا إلى الشركة معه].

G. Kittel, TDNT, Vol. I, p. 451.

[كما لا يوجد أي نفع في محاولة التحديدات التي يحاولها اللاهوتيون في أبحاثهم التي يحاولون بها زحزحة اللعنة لتكون من الناموس وليس من الله أو التي تحاول حصرها في اليهود وليس فينا نحن.] Ibid

والآن يا إخوة، بعد أن عرفنا وتأكدنا أن المسيح أخذ خطايانا في جسده على الخشبة وقَبِلَ لعنة الخطاة والخطية ورضِيَ بخشبة العار، كل ذلك من أجلنا. وأنه تعيَّن من أبيه أن يكون الفدية لكي بدمه وصليبه يصير لنا غفران الخطايا، وبقيامته حياة جديدة ومصالحة مع الآب وقُرْبَى ودالة وتبنٍّ وشركة وحياة أبدية. فالآن لم يبقَ لنا إلاَّ أن نحقق الآن ما عرفناه وآمنا به!

ولا توجد وسيلة نحقق بها هذه المكاسب والنِعَم ونحياها ونفرح بها ونسعد بنصيبنا السماوي ونذوق صلاح الرب فعلاً ونهتف بمجده، إلاَّ بالصلاة فهي باب السماء المفتوح على الدوام.
وكل الذين دخلوا شهدوا، وبقيت شهادتهم لنا حافزاً للصلاة

والشهادة: "أحبني ومات من أجلي"!!!

ختــــام:

الحب والفــداء:

الأصول الأولى الـتي نبع منهـا الفـداء والكفّـارة.

بقـدر مـا يجـد القـارئ صعوبـة في فهـم دقـائق الفـداء والكفّـارة، فإن ينبوعـه الأول الـذي نبع منـه فكـر الفـداء ورسمـت خطتـه وكـل عملياتـه الدامية هـو **حـب الله للإنســان**. فبكـل وضـوح وصراحـة قـال الروح في الإنجيـل عـن أصل الفـداء: «هكـذا أحـب الله العـالم حتى بذل ابنـه الوحيـد لكـي لا يهلـك كـل مَنْ يؤمن بـه، بـل تكـون لـه الحيـاة الأبديـة.» (يـو ٣:١٦)

أمـا أول درجـة عمليـة اتخذهـا الله، فهـي أن أوعـز إلى ابنـه أن يـأخذ جسـد إنسـان ونفس صورتـه يتحـد بهـا، ليصـيِّره رأس بشـرية جديدة بعـد أن يزيـل مـن عليهـا حكـم الموت واللعنـة ويُدخلهـا دائـرة حـب الله الشـخصي لتحيـا معـه مـن جديـد تسـبِّحه ويفـرح بهـا. فنزول اللاهـوت ليتحـد بصـورة إنسـان فيـه مـا فيـه، ليس مـن الحـب فقط للإنسان بـل ومـن التكريـم لـه بما يفـوق العقـل، مما حـدا بـالابن أن يُعلـن: «لينظـروا مجـدي الـذي أعطيتـني... وعرَّفتهـم اسمـك وسأُعرِّفهم ليكـون فيهـم الحـب الـذي أحببتـني بـه وأكـون أنـا فيهـم» (يـو ١٧: ٢٤و٢٦) ضمانـاً أبديـاً أن لا يخرجـوا مـرة أخـرى مـن حضـرة الله.

فـإن كـانت قصـة الفـداء قـد بـدأت مـن طـرف الإنسـان بحيـاة الخطيـة والإثـم والتعـدِّي، ودوافعهـا مـن جهالـة العـداوة والبغضـة

والحسد والخصام وما يرافقها من الحيرة والتخبُّط والحزن والبكاء والتنهد والشعور بغضب الله؛ فإن وجه الفداء من طرف الله مُشرق غاية الإشراق، يفيض حبًّا صادقاً ونية حارة للمصالحة. فمن جهة الآب يقول: «إن الله كان في المسيح مُصالحاً العالم لنفسه» (٢كو ٥: ١٩). أما من جهة الابن يسوع المسيح، فأول تعبير عبَّر به بفمه عن الفداء المزمع أن يصنعه للإنسان من دمه أنه قال: «تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أُريحكم. احملوا نيري عليكم... لأن نيري هيِّن وحملي خفيف» (مت ١١: ٢٨-٣٠). وبدأ يشرح أعمال وصفات الفدية: «لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة» (مت ٩: ١٣)، «ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدم بل ليَخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين» (مت ٢٠: ٢٨)، «أنتم تدعونني معلِّماً وسيِّداً وحسناً تقولون لأني أنا كذلك... قد غسلتُ أرجلكم» (يو ١٣: ١٣و١٤). وآخر منا قال وأعظم ما قال: "اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا... اصنعوا هذا لذكري." (مت ٢٦: ٢٧و٢٨، لو ٢٢: ٢٠و١٩)

وهكذا احتوى المسيح كل مفهوم الفدية بإعطائنا دمه في كأس لنشربه، كحبيب ذبح نفسه من أجل الذي يحبه، وأعطاه دمه ليذكر حبه له الذي قيَّمه بدمه. وقد حوَّل حبه المتدفق من قلبه إلى دمه المنسكب في كأس. فكل لغة لاهوت الفداء مهما بلغت من الصعوبة، فهي توقيعات خفقات قلب الله الآب لا يسمعها الإنسان إلاَّ إذا بدأ يفهم لغة الحب، وإن عبَّر عنها الابن ونفَّذها

على ضرب السياط وذبح الصليب وسفك الدم، فذلك لكي يوقظ قلوبنا البليدة لتدرك لغة حب الله من نحو الإنسان الخاطئ، وصدق نيته من نحوه منذ الأزل.

ويكفي أن أكبر لاهوتي في العالم، وبآن واحد، أكبر خاطئ، لما أدرك دقائق سر الفداء وفهم لغة الله وسمع دقات قلبه وشرح كل أعمال فدية الابن على الصليب، أنه عبَّر عن الفداء بتسبحة أخذ يتغنّى بها طول حياته، من ثلاث كلمات ونصف، تحوي كل سر اللاهوت: «**أحبني وأسلم نفسه لأجلي.**» (غل ٢: ٢٠)

(فبراير ١٩٩٤)

مجموعة مقالات:

"في اللاهوت – ألقاب المسيح"

للأب متى المسكين

📖

١. ماهية المسيح – لاهوت المسيح الذي حدَّد مصير الإنسان.

٢. المسيح "ابن الله".

٣. "ابن الإنسان" اللقب المحبوب عند المسيح.

٤. المسيح والمسيَّا.

٥. المسيح "رب".

٦. "المحبوب".

٧. الفدية والكفَّارة.

٨. الخلاص والإيمان.

٩. عمانوئيل.

١٠. رئيس الحياة.

(تتبَّع ما يصدر من مقالات جديدة في هذه المجموعة)

الفدية والكفّارة

- يا إخوة، نحن أغفلنا حق وسيطنا لدى الآب، وإلى الآن لم نُقدِّم له مثقال ذرة عِوَض جبال الرحمة التي أحاطنا بها، والحب الذي سكبه لنا من قلبه المجروح ومن قلب الآب الذي سُرَّ أن يسحقه بالحزن حتى يعتصر من دمه لنا حياة. لا صلاة شكر قدّمنا كما يليق، ولا تسبيحاً لا بالليل ولا بالنهار، ولا دخلنا معه في عِشْرة حلوة يجري فيها حديثنا معه سرًّا وبتهليل وأصوات لا تهدأ، تغار منها الملائكة في السماء.

- يا إخوة، قد أغفلتم عقد المحبة، ما سلّمكم من جرح جنبه: عقد الخطوبة الذي حرَّره بولس بيديه، بل زواج يوثّقه الروح القدس على المذبح كل يوم إذ يسقينا دم العريس ويُطعمنا جسده ويوثّق [illegible] ليحيا فينا ونحيا به، كالتصاق العريس بالعروس.

الطبعة الثانية ١٩٩٧
الثمن ٥٠ قرشاً